خصائص التراكيب لدى عبد الله بن فودي في كتاب (مفتاح التفسير) في علوم القرآن (دراسة تحليلية)

تكر أبوبكر و عبد الله أبوبكر

1. كلية شيخ شاغاري للتربية – قسم اللغة العربية – ولاية صكتوا، نيجيريا

[2] . كلية الشيخ شاغاري للتربية – قسم اللغة العربية – ولاية صكتوا ، نيجيريا

المستخلص

هذه الدراسة محاولة لإبراز الأساليب القرآنية في البلاغة العربية من خلال كتاب الشيخ عبد الله بن فودي(مفتاح التفسير في علوم القرآن) في ظاهرة خصائص التراكيب في علم المعاني. وقد حاول الباحثان أن يبيِّنا ما مدى عبقرية ابن فودي في إبراز خصائص التراكيب في الأساليب البلاغية الواردة في القرآن الكريم من خلال كتابه(مفتاح التفسير) في علوم القرآن، والهدف فيه التعريف بعبدالله بن فودي ،والجهود التي قام بها في إظهار ثقافة العربية والإسلامية في نيجيريا ، لاسيما البلاغة القرآنية في كتابه (مفتاح التفسير) خصوصا ما يتعلق بخصائص التراكيب في علم المعاني في البلاغة القرآنية حيث أورد الشيخ عبد الله فيه البلاغة القصر ، والوصل والفصل ، والإيجاز والإطناب والمساواة وبيَّن آراء البلاغيين في هذه البحوث البلاغية. والمشكلة في هذا البحث أنه لم يسبق أن تناول الدارسون والباحثون دراسة هذا الكتاب أدبياً أو بلاغياً.

الكلمات المفتاحية : *الأساليب – التراكيب – المعاني*

ABSTRACT:

This study is an attempt to highlight the Qura'nic expressions in Arabic rhetoric through studying the Sheikh Abdullah bin Fodyie's book (Miftah Altafseer fi Ulum Al Qura'n) – interpretation of Qura'nic words - investigating the phenomena of syntaxes' characteristics in Arabic semantics. The two researchers in their study tried to clarify the extent of Ibn Fodyie genius on highlighting the syntaxes' characteristics in rhetorical expressions that existed in the Holly Qura'n through studying the bin Fodyie's book of Qura'nic Science (Miftah Altafseer). The study amid to introduce Sheikh Abdullah bin Fodyie and his efforts in spreading the arabic and islamic culture in Nigeria, particularly the Qura'nic rhetoric in his book (Miftah Altafseer) especially that related to syntaxes' characteristics in Arabic semantics. Sheikh Abdullah mentioned in his book the rhetoric of limitation, conjunction, disjunction, brevity, verbosity and equalization. He clarified the rhetoricians' opinions on these rhetorical researches. The problem of this research was represented in that no researchers or studiers discussed bin Fodyie's book neither literarily nor rhetorically

المقدمة:

فإن كتاب مفتاح التفسير، للعلامة السودان الشيخ عبد الله بن محمد فودي رحمه الله – لمن أجل الكتب التي ألفت، في علوم القرآن في غرب إفريقيا، وقد أوضح الشيخ فيه العلوم المطلوبة لمن يهتم بمعرفة تفسير كتاب الله، ولاسيما إبرازه الأساليب والقيم البلاغية التي وردت في كتاب الله من الفصاحة، والمعاني ، والبيان ، والبديع، وقد ذكر فيه مبينا في الفصاحة، بلاغة اللفظة المفردة، من الدقة، والطرافة، والتلاؤم ، والإيحاء.وكذلك إيضاحه في علم المعاني أحوال القصر.و الفصل والوصل. والإيجاز والإطناب والمساواة. ، كما تجده يعالج

قضايا البلاغة الواردة في علم البيان من التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز المرسل ، وكذلك الكناية والتعريض ، وكما أوضح البديع بمحسناته اللفظية والمعنوية.

أهداف البحث:

1. التعرف بالشيخ عبد الله بن فودي وملكته العلمية في نيجيريا وفي القارة الإفريقية
2. الإلمام بالبلاغة العربية إذ بها تعرف أساليب القرآن الكريم ، والسنة النبوية
3. الاهتمام بخصائص التراكيب في كتاب (مفتاح التفسير) للشيخ عبد الله بن فودي.
4. إبراز مواقف البلاغيين البارعين في خصائص التراكيب .
5. موقف الشيخ عبد الله بن فودي في خصائص التراكيب في علم المعاني

الدراسات السابقة:

لم نقف على أحد ممن سبقنا من الباحثين والدارسين كتب في هذا الكتاب (مفتاح التفسير) من ناحية البلاغة وعلوم القرآن.

هذا ، وقد رأى الباحثان في هذه الورقة العلمية أن يتناولا جزءا يسيرا من البلاغة العربية الواردة في هذا الكتاب (مفتاح التفسير) وهي خصائص التراكيب ويقوما بمساهمة ضئيلة تبين ما مدى عبقرية الشيخ عبد الله بن فودي في توضيح علم المعاني من خلال هذا الكتاب وهذا تمهيد لسبيل السالكين. ولا ندعي الإحاطة في هذه المقالة بل هي محاولة لإبراز فحوى المراد لمضمون هذا الموضوع. وقد جعل الباحثان هذه المقالة تقوم على النقاط التالية:

- عرض لمضمون الكتاب
- التعريف اللغوي والاصطلاحي لخصائص التراكيب
- القصر
- الفصل و الوصل
- الإيجاز والإطناب والمساواة
- الخاتمة

عرض لمحتويات كتاب (مفتاح التفسير)

والكتاب يتناول قضايا علوم التفسير حيث أورد الأستاذ فيه صورًا عالية من العلوم المتعلقة بالقرآن.

وقد تناول فيه مقدمة عن أصول الدين مما يخص الإلهيّات، والنبويات، والسمعيات ويقول:

علم بما يلزمنا يباحث في العقد فالعالَم طرا حادث

صانعه الله القديم الباقي الواحد الغني بالإطـــلاقي (الشيخ عبدالله ،1245 ، ص3)

فخاض في بيان مباحثعلوم القرآن، وذكر فيه "أنواعا من التفسير منها ما يرجع إلى النزول" وبيّن ضوابط يعرف بها المكّي ، والمدني. ولا يزال يواصل قوله مبينا أسباب النزول ويقول :

علم به يبحث عن أحوال كتاب ربنا العزيز العال

باقي التلاوة على محمد نزل معجزا بسورة أحدد

ببعضه ترجم بالتوفيق أقلها ثلاث آي غيف (الشيخ عبدالله ،1245 ، ص10)

وفصّل القول في أنواع قراءة القرآن، وما يرجع إلى الإسناد من التواتر، والآحاد، والشلذ. وبيّن الضوابط التي ترجع إلى الأداء، كما شرح كيفية الوقف، والإمالة، والفتح، والمد، والإدغام، وأورد آداب تحمل القرأن، وتلاوته.

ثم بين قاعدة الحذف، والزيادة، والهمزة، والبدل، والوصل، والفصل. وخصص بحوثًا قيمة في الألفاظ القرآنية بأنواعها

فأورد ما وقع فيها من اللغات، ومشتركها ، ومترادفها.ومن ذلك يقول الشيخ :

لغاته خمسون فالكثير قريشها وجابه النمير

هزيلها كنانة وخثعم وحزرج وأشعر وجُوهُم (الشيخ عبدالله ،1245، ص 76)

وكما عالج بحوثًا عالية من القيم البلاغية من الحقيقة، والمجاز، والتشبيه، والاستعارة بأنواعها، والكناية بمقاصدها.(الشيخ عبدالله ،1245 ، ص 90)وفصل مجمله، ومبنيه، ومنطوقه، ومفهومه، ومطلقه، ومقيده. وأشار إلى الناسخ والمنسوخ.

ومهما يكن فإن الممارسة التامة لفنون الفصاحة، والبلاغة لدى عبد الله بن فودي تؤتى أهميتها في ظاهرة الترادف حيث أوضح في هذا الكتاب قاعدة مستقلة في ألفاظ يظن بها الترادف وليس الأمر كذلك حيث يقول:

من الذي يظن ذا ترادفِ الشح والبخل وضنٌ فاصرف

إلى الهبات البخل للعوار ضنَّكَ والشح بجرمٍ جَارِ

كالخشية التى لعظم المختشى والخوف ما من ضعف خائف فشى

كما السبيل السهل فيه الخيل أما طريق لم يقيد شرُّ(الشيخ عبدالله ،1245 ، 126-127)

ويفصل القول بذكر قاعدة السؤال، والجواب، والوجوه، والنظائر، ووجوه المخاطبات. وتناول صورًا عالية من القصر بقوله:

ذا قصر موصوفٍ وقصر الوصف مجازًا أو حقيقة ذا تلفِي

إفرادًا إن لمن بشرك عاقد كإنما الله إله واحد(الشيخ عبدالله ،1245 ، ص157).

وتحدث عن الوصل والفصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة.(الشيخ عبدالله ،1245 ، ص 159)

وتنفس طويلا في بيان فواصل الآيات، ومناسباتها، بالسورة، وفواتح السورة وخواتمها. وخاض في أمثالها ، وأقسامها.

وبين جدله بأدلته العقلية ، وذكر محكمه، ومتشابهه، والعلوم المستنبطة فيه، وأسماء الملائكة، والصحابة ، وأسماء غير الأنبياء ، وأسماء الكفار، وأصنامهم، وأسماء القبائل، والأماكن الأخرويه، والمنسوب

إلى الأماكن، والكنى ، والألقاب، والمبهمات، ومفرادات القرآن، وفضائله، وخوّاصه، وفصل القول في شروط المفسر، وختم الكتاب بذكر طبقات المفسرين.(الشيخ عبدالله ،1245 ، ص 235)

التعريف اللغوي والاصطلاحي لخصائص التراكيب

الباحثون المعاصرون يعنون بخصائص التراكيب (علم المعاني) ، و بالنظر في مفهومه اللغوي فمركب من كلمتين : العلم و المعنى ، والعلم دلاليا يأتي علي طياته بمعان متعددة و متنوعة :

والعلم مصدر لفعل (علِم) يعلم علما فهو عالم ومن ذالك علم و هو عَلَمَةٌ وعَلاَّمٌ وعَلِيمٌ وتِعْلِمةٌ – بسُكون العَيْن – وتِعْلاَمَةٌ : أي عالِمٌ جِدًّا . وتَعَلَّمْه : أي اعْلَمْه . وعَالَمني فَعَلِمْتُه أَعْلُمه : غَالَبَني في العِلْم فَغَلَبْتُه . وأنا مُعْتَلِمٌ عِلْمَه : أي عالِمه . ويكونُ المُعْتَلِمُ السّائلَ أيضاً كالمُعْتَرِف . والعُلاّمَةُ : ما تَجْعَلُه عُلْمَاً من مَكانٍ أو غيره (إسماعيل الطالقاني ، 1414 هـ ، مادة علم).

أما إذا نظرنا نظرة عابرة إلى المفهوم الدلالي للفظة (المعنى) التي منها اشتق (علم المعاني) نرى أنها تدل على ما يلي من خلال معاجم العربية :

المعنى : ما يدل عليه اللفظ و جمعه : معان ، والمعاني ما للإنسان من الصفات المحمودة يقال فلان حسن المعاني .

و المعنوي : خلاف المادي وخلاف الذاتي .

وفي الاصطلاح : هو علم بأصولٍ وقَواعِد يُعرَف بها أحوالُ الكلامِ العربيِّ التي يكونُ بها مُطابقاً لِمقتضَى الحال، بحيثُ يكونُ وفقَ الغَرَضِ الذي سِيقَ لهُ .

ومن البلاغيين من يقول في مفهومه:

هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له، فبه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حينا والإطناب آخر، والفصل والوصل، إلى غير ذلك (أحمد مصطفى المراغي ، 35).

وعلم النحو ، قد درس هذه الأحوال ،أعني الحذف والذكر وغيرها ، ولكن دراسته لها تتناول جهة أخرى ، فهو يبين جواز التقديم وامتناعه ، ووجوبه ، وجواز الحذف وامتناعه ووجوبه ، وأنواع التعريف وأحكام التنكير ولم يتناولها من حيث وقوعها مطلبا بيانيّا يقتضيه المقام ويدعو إليه الحال (الدكتور أبو موسى ،111).

ويدور هذا العلم حول تحليل الجملة المفيدة إلى عناصرها، والبحث في أحوال كلّ عنصر منها في اللّسان العربيّ، ومواقع ذكره وحذفه، وتقديمه وتأخيره، ومواقع التعريف والتنكير، والإطلاق والتّقْيِيد، والتأكيد وعدمه، ومواقع القَصرِ وعَمَمه، وحَوْلَ اقتران الجمل المفيدة ببعضها، بعطف أو بغير عطف، ومواقع كلٍّ منهما ومقتضياته، وحول كون الجملة مساوية في ألفاظها لمعناها، أو أقلّ منه، أو زائداً عليه، ونحو ذلك (عبد الرحمن الميداني ، 1391 هـ ، 1 ، 107).

القصر:

القصر : يأتي في اللّغة بمعنى التّخصيص، يقال لغة: قَصَرَ الشَّيْءَ على كذا، إذا خصّصه به، ولم يجاوز به إلى غيره. ويُقالُ: قَصَر غلَّةَ بستانه على عياله، إذا جعلها خاصّةً لهم، وقَصَر الشيءَ على نفسه، إذا خصَّ نفسَه به، فلم يجعل لغيره منه شيئاً.

ويأتي القصر أيضاً بمعنى الحبْسِ، يُقال لغة: قَصَر نفسه على عبادة ربّه، إذا حَبَسها على القيام بعبادة ربّه، وقَصَر جُنْدَهُ على ممارسة التدريب العسكريّ في القلعة، إذا حَبَسَهُم وألزَمَهُم بذلك فيها.

ومنه قول الله تعالى : ﴿ ﴾ (سورة الرحمن 72) .

والقصر في اصطلاح علماء البلاغة: تخصيص شيءٍ بشيءٍ بعبارة كلاميّة تدلُّ عليه.

و يقال في تعريفه أيضاً: جعْلُ شيءٍ مقصوراً على شيءٍ آخر بواحدٍ من طُرقٍ مخصوصة من طُرق القول المفيد للقصر (الميداني ، 1 ، 413).

والشيخ عبد الله مشى على منوال البلاغيين حيث قسم القصر إلى قسمين :

القسم الأولأن يكون جميع ما سوى المقصور عليه، ويسمَّى عند البلاغيين "قصراً حقيقيّاً" مثل: "لا إلَه إلاَّ الله" أي: لا يُوجَدُ في الوجود كُلّه معبودٌ بحقٍ سوى الله عزَّ وجلّ.

القسم الثانيأن يكون المقصور عنه شيئاً خاصّاً يُرادُ بالْقَصْر بيانُ عَدم صحَّة ما تصوَّرَه ُ بشأنه أو ادَّعاه ُ المقصودُ بالكلام، أو إزالة شكّه وتردّده، إذا الكلام كلُّه مُنْحَصِرٌ في دائرة خاصّة، ويسمَّى "قصراً إضافياً" أي: ليس قصراً حقيقيّاً عامّاً، وإنّما هو قَصْرٌ بالإضافة إلى موضوع خاصٍّ يدور حول احتمالين أو أكثر من احتمالاتٍ محصورة بعَدَدٍ خاصّ، ويُسْتَدَلُّ عليها بالقرائن. وهذا ما عبر عنه الشيخ بقوله :

ذا قصر مـوصوف وقصر الوصف   مجـازا أوحقيقة ذا تـلفي
إفـــراد إن لمن بشـــرك عاقد   كـــإنما الله إلـــه واحـد
أو قلـــبا إن بعكسه يشـــــــاء   كنـــحو إنهم هم السفهاء
تـــعيينا إن لمـــن لـــه استواء   أداتـــه النفي والاستثنـــاء
تقـــديم مـــــعمول وفصل إنما   على الأصـــح بل ولا وانما (الشيخ عبد الله ،156– 158)

وللقصر طرق كثيرة أشهرها مايلي:

أ– النفي والاستثناء، والمقصور عليه فيهما مايلي أداة الاستثناء.

يكونُ القصرُ (بالنفي والاستثناءِ) كقوله تعالى : ﴿ ﴾ (سورة آل عمران، 144)

ب– إنما، والمقصور عليه هو المؤخَّر. يكونُ القصرُ (بإنَّما) – نحو قوله تعالى : ﴿ ﴾(سورة فاطر ، 28)

ج- العطف بـ لا، أو بل ، أو لكن . والمقصور عليه في العطف ب لا هو المقابل لما بعد ها ،وفي العطف ب بل لكن هو ما بعدهما

و يكونُ القصرُ (بالعطف بلا – وبلْ – ولكنْ) – نحو: الأرضُ متحركةٌ لا ثابتةٌ، وكقول الشاعر (الثعالبي ،1417 هـ ، 67):

عمرُ الفتى ذِكْره لا طولُ مُدّته وموتُه حزنُه لا يومُه الداني

وكقول الشاعر (الهاشمي ، 1 ، 8) :

ما نالَ في دُنياوإنْ بـ غيةً لكنْ أخو حزمٍ يـ جدُّ ويـ عملُ

د- تقديم ما حقه التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المعمول على العامل والمقصور عليه في هذا النوع هو المقدم.

يكونُ القصرُ(بتقديمِ ما حقّـهُ التأخيرُ) نحو قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ (سورة الفاتحة ، 5)، أي: نخصُّك بالعبادة والاستعانة

- فالمقصورُ عليه في النفي والاستثناء هو المذكورُ بعد أداة الاستثناء نحو: وما توفيقي إلا بالله.
- والمقصورُ عليه مع إنما هو المذكور بعدها، ويكونُ مؤخَّراً في الجملة وجوباً،

الوصل والفصل :

العلُم بمواقعِ الجملِ والوقوفُ على ما ينبغي أن يُصنعَ فيها من العطفِ والاستئناف، والتهدِّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها ،أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعبُ المسلك، لا يُوفّقُ للصوابِ فيه إلاّ من أوتي قسطاً موفوراً من البلاغة، وطبعٍ على إدراك محاسنِها، ورُزقَ حظًّا من المعرفة في ذوقِ الكلامِ، وذلك لغموضِ هذا البابِ، ودقةِ مسلكه، وعظيمِ خطره، وكثيرِ فائدته: يدلُّ لهذا، أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة، فقد سئلَ عنها بعضُ البُلغاء، فقال: هي معرفةُ الفصلِ والوصلِ (القزويني ، 1998 م ، 1 ، 49) في هذا المنطلق يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني: اعلَم أنَّ العلَم بما ينبغي أن يُصْنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ أو تركِ العطفِ فيها ولمجيءِ بها منثورةً تُسْتَأْنفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرارِ البلاغة ومما لا يتأتّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاّ الأعرابُ الخُلَّص وإلاّ قومٌ طُبِعُوا على البلاغة وأوتوا فنًّا من المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ . وقد بلغَ من قوة الأمرِ في ذلك أنَّهم جعلوه حدّاً للبلاغة فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها فقال : مَعْرِفَةُ الفَصلِ من الوصلِ ذاك لغموضه ودقةِ مَسْلكه وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحدٌ إلاّ كَمَلَ لسائرِ معاني البلاغة (أبوبكر الجرجاني ، 1995 ، 174)

هذا ، والبلاغيون البارعون يرون أن الوصلُ عطفُ جملة على أخرى بالواو ، والفصلُ تركُ هذا العطف بين الجملتين، والمجيءُ بها منثورةً، تستأنفُ واحدةً منها بعدَ الأخرى (علي بن نايف ،1 ، 27) فالجملةُ الثانيةُ تأتي في الأساليبِ البليغةِ مفصولةً أحياناً، وموصولةً أحياناً، فمنَ الفصلِ قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ(سورة فصلت ، 34)، فجملةُ (ادفع) مفصولةٌ عمّا قبلها، ولو قيلَ: وادفْع بالتي هي أحسنُ، لما كان بليغاً.

ومنَ الوصلِ قولهُ تعالى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (سورة التوبة ، 119)، عطفَ جملةَ وكونوا على ما قبلَها ، ولو قلتَ: اتقوا الله كونوا معَ الصادقين، لما كان بليغاً .

وهذا عين ما قاله الشيخ حيث يقول:

الوصل عطف جملة والفصل خلافه فإن لها محل

ورمت تشريكا عطفت أولا بربط غير الواو صل والاّ

وبلاغةً الوصل لا تتحققُ إلا بالواو العاطفةِ فقط، دون بقيةِ حروف العطفِ، لأنَّ الواَو هي الأداةُ الّتي تخفَى الحاجةُ إليه ا، ويحتاجُ العطف بها إلى لُطفٍ في الفهمِ، ودقةٍ في الإدراك، إذ لا تفيدُ إلا مجرَّدَ الربطِ وتشريكِ ما بعدها لِمَا قبلها في الحكمِ، نحو: مضَى وقتُ الكسلِ، وجاءَ زمنُ العملِ، وقُم واسْعَ في الخيرِ.

بخلافِ العطفِ بغيرِ الواو، فيُفيدُ معَ التشريكِ معانيَ أخرى، كالترتيبِ مع التعقيبِ في الفاء، وكالترتيبِ مع التراخي في ثُمَّ، وهكذا باقي أدواتِ العطفِ الّتي إذا عُطف بواحدٍ منها ظهرَ الفائدةُ ، ولا يقعُ اشتباهٌ في استعماله.(الهاشمي ، 1، 9)

ومن هنا يتأكد توكدا علميّا أنّ الوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو فقط دون غيرها من حروف العطف كما سبقت الإشارة الى ذلك، والفصل هو ترك هذا العطف.

والشيخ عبد الله بقدرته النادرة قد أوضح مواضع يتعين فيها الفصل بقوله :

فافصل منعتها بحكم الأولى أولا إذا بينهما قد حلا

كمال الاتصال كالإبدال وشبهه كنيّة السؤال

أوالانقطاع دون وهم ذي خبر وتلك إنشاء كشبهه يقر

بكون عطف موهما خلاف ما ريم والأصل بجامع نما

في عقل أو في وهم أو خيال وراق في تناسب الأمثال (الشيخ عبد الله ، ص 158-159)

ويقصد الشيخ هنا أن الفصل يتعين في هذه المواضع :

أ- حين يكون بين الجملتين تباين تام، وذلك بأن تختلفا خبرًا وانشاء، أو بألا تكون بينهما مناسبة ماويُطلق على هذا مصطلح كمال الانقطاع

ب- حين يكون بينهما اتحاد تام، وذلك بأن تكون الثانية مؤكدةللأولى أو بياناً لها، أوتكون بدلاً منها، ويُطلق على هذا مصطلح، كمال الاتصال.

ج-حين تكون الجملة الثانية جواباً لسؤال نشأ عن الجملة الأولى فتفصل الثانية عنها ، كما يفصل الجواب عن السؤال ويُطلق على هذا مصطلح شبه كمال الاتصال.

والمواضع التي يتعين فيها الوصل هي :

أ-إذا قُصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي.

ب- إذا اتفقت الجملتان خبرًا أو إنشاء وكانت بينهما مناسبة تامة ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

ج- إذا اختلفتا خبرًا وانشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود

الإيجاز والإطناب والمساوات :

تعبير ما ريم بلفظ لم يرد واف هو الإيجاز ثم إن يفد

بالزيد والإطناب والمساوى لأول على خـــلاف يـــاوي

وحاول الشيخ عبد الله من خلال هذا العرض أن يعرّف كل من من الإيجاز والإطناب والمساوات حيث عبر الإيجاز بأنه : تعبير ماقصد تعبيره بلفظ موجز غير واف ، وهذ هو المصطلح عند البلاغيين بقولهم: هو التعبير عن المراد بكلامٍ قصير ناقص عن الألفاظ التي يُؤدَّى بها عادةً في متعارف الناس، مع وفاء بالدّلالة على المقصود.(الميداني ، 1 ، 483)

ثم ذكر الشيخ أن اللفظ إن جاء بالزيادة هو الإطناب ، وهوفي اصطلاح البلاغيين: كَوْنُ الكلام زائداً عمّا يُمكن أنْ يُؤدَّى به من المعاني في معتاد الفصحاء، لفائدة تُقصَد.

ويكون الكلام بليغاً إذ وُضع الإطناب في موضعه الملائم له، ورُوعِيَفيه مقتَضَى حالِ المتلقّي.

كما بين الشيخ أن المساواة هي أداء المعاني بألفاظ مساوية لها دون زيادة أو نقص بقوله :

والمساوى لأول على خـــلاف يـــاوي

قال العسكري:المساواة أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعض على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب (الخطيب القزويني ، ص 110)

ويرى بعض البلاغيين أن المساواة: هي التطابق التام بين المنطوق من الكلام وبين المراد منه دون زيادة ولا نقصان.(الميداني ، 1 ، 469)

فأما المساواة بين اللفظ والمعنى كما وصف بعض الأدباء رجلاً فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر، وحد المساواة المحمودة هو إيضاح المعنى باللفظ الذي لا يزيد عنه

ولا ينقص، وقد احتُرِز بأنه: إيضاح مما احترز منه في حد الإيجار لما أذهب إليه من قبح العبارة عن المعنى باللفظ الذي لا يوضحه، وفُرِق بين المساواة والتذييل بما: لا يزيد عنه لأن التذييل لفظ يزيد على المعنى، وفرق بين المساواة والإيجاز والاخلال بما: لا ينقص لأن الإيجاز والإخلال لفظ ينقص عن المعنى، إلا أن الفرق بين الإيجار والاخلال أن الإيجاز على ما ذُكِر إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، والاخلال هو نقص المعنى باختصار اللفظ، فقد فهم بهذا القول: الإيجاز والاخلال والمساواة والتذييل.

وهو لقصر ولحذف ينما ذو القصر ما قل بمعنى جمّا

وذكر الشيخ من خلال هذا البيت أن الإيجاز وهو نوعان:

أ- إيجاز القصر، وهو مالا يكون فيه لفظ محذوف.

ب- إيجاز الحذف، وهو ماكان بحذف كلمة أو جملة، أو أكثر، مع قرينة تحدّد المحذوف

هذا، وقد استعمل العرب الإيجاز في مكانه و التطويل في مكانه، ، فقد قيل: إن الإيجاز إذا كان كافياً كان التطويل غثاً وإن كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً فإنك تصل إلى ما وصلوا إليه، وتقدر على ما قدروا عليه. وإياك أن تفرط أو تفرط؛ فإن فرطت قصرت، وإن أفرطت كثرت. وخير الأمور أوسطها.(أسامة بن منقذ ،1 ، 71)

ومن هذا المنطلق يتأكد أن إيراد الإيجاز في مكانه والإطناب في مقتضاه ممّا يدّل على فصاحة الكلام وبلاغته.

هذا ، وينقسم الإطناب إلى قسمين: إطناب بالبسط، وإطناب بالزيادة:

أما القسمالأول: وهو "الإطناب بالبَسْط" فيكون بتكثير الجمل وبسط المعاني، واستعمالِ كلامٍ طويل يُغْنِي عنه كَلاَمٌ قصير، دون أنْ تكون فيه ألفاظ زائدة.

كما في قول الله عزّ وجلّ : چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ (سورة البقرة ، 164).

في هذه الآية إطنابٌ بالبسط، لتوجيه الأنظار لآيات كونيَّة دالاّت على طائفةٍ من صفات الله عزّ وجلّ، منها شمول علمه، وعظيم قدرته، وكمالُ إرادته، وجليلُ حكمته وإتقانه وإبداعه لمخلوقاته، وعنايته بعباده.

وهذا البسط آتٍ من ذكر طائفة مفصّلة من آياته في كونه، كلٌّ واحدة منها تدلُّ على كلٍّ هذه الصفات، فذكرها هو من البسط في إقامة الأدلّة دون زيادةٍ في الألفاظ لدى ذكر كلّ آية منها.

وأما القسم الثاني: وهو "الإطناب بالزيادة" فيكون بزيادةٍ في الألفاظ على أصل المعنى الذي يُرادُ بيانه لتحقيق فائدةٍ ما.

فمنه قول الله عزّ وجلّ :چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ (سورة القدر ،4).

إنّ عبارَة: {والرُّوح} وهو جبريل عليه السلام من الإطناب بالزيادة، لأنّ جبريل داخلٌ في عموم الملائكة، ولكنّها زيادة ذاتُ فائدة، إذ الغرضُ من تخصيصه بالذكر بعد دخوله في عموم الملائكة الإشعارُ بتكريمِه وتعظيمِ شأنه، حتَّى كأنَّه جِنْسٌ خاصٌّ يُعْطَفُ على الملائكة.

وأما المساواة فله أمثلة كثيرة، ومنها قول زهير:

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ... ولو خالها تخفى على الناس تعلم (أحمد القلقشندي ، 1987 م ، 2 ، 123)

وقوله أيضاً:

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا ... أصبت حليما أو أصابك جاهل (كعب بن زهير ، 1421 هـ ، 1، 87)

وقوله طرفة بن العبد:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود (طرفة بن العبد ، 1969 م ، 1، 11)

الخاتمة:

وقد سبق فيما تم عرضه كيف تمكن للأستاذ عبد الله بعبقريته النادرة من إنتاج ثقافة بلاغية من خلال كشفه لنقاب خصائص التراكيب في القرآن الكريم في كتاب (مفتاح التفسير). وقد مشى مع البلاغيين في توضيح أحوال القصر ، والفصل والوصل ، كما بين أحوال الإيجاز والإطناب والمساوات . ومن خلال هذا نستطيع أن نستنبط في الخاتمة مايلي:

أولا : النتائج

1.الباحثون المعاصرون يعنون بخصائص التراكيب (علم المعاني) وهو علم بأصولٌ وقَواعد يُعرَف بها أحوالُ الكلامِ العربيِّ التي يكونُ بها مُطابقاً لِمقتضَى الحال، بحيثُ يكونُ وفقَ الغَرَضِ الذي سِيقَ لهُ .

2. مشى الشيخ عبد الله على منوال البلاغيين حيث قسم القصر إلى قسمين :

أ. قصر حقيقي وهو أن يكون جميع ما سوى المقصور عليه.

ب. قصر إضافي وهو أن يكون المقصور عنه شيئاً خاصّاً يُرادُ بالْقَصْرِ بيانُ عَدمِصحَّة ما تصوَّرَهُ بشأنه أو ادَّعاهُ المقصودُ بالكلام، أو إزالة شكّه وتردّده، إذا الكلام كلُّه مُنْحَصِرٌ في دائرة خاصّة.

3. كما تجده يوضح طرق القصر منها مايلي:

أ– النفي والاستثناء، والمقصور عليه فيهما مايلي أداة الاستثناء.

ب –إنما، والمقصور عليه هو المؤخَّر.

ت –العطف بـ لا، أو بل ، أو لكن . والمقصور عليه في العطف ب لا هو المقابل لما بعد ها ،وفي العطف ب بل لكن هو ما بعدهما

ث –تقديم ما حقه التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المعمول على العامل والمقصور عليه في هذا النوع هو المقدم

4. ذهب الشيخ مذهب البلاغين حيث يرى أن الوصل عطفُ جملةٍ على أخرى بالواو ، والفصلُ تركُ هذا العطف بين الجملتين، والمجيءُ بها منثورةً ، تستأنفُ واحدةً منها بعدَ الأخرى

5. وقد تأثر عبد الله بن فودي برأى البلاغيين حيث أوضح مواضع يتعين فيها الفصل ، والمواضع التي يتعين فيها الوصل .

6. كماحاول الشيخ عبد الله من خلال هذا العرض أن يعرف كل من من الإيجاز والإطناب والمساوات ، كما ذكر أنواع الإيجاز، والإطناب ، وأمثلة المساواة

ثانيا: التوصيات

1– الاهتمام بتدريس كتاب (مفتاخ التفسير) في الجامعات والمدارس، خصوصا في مادة علوم القرآن لأن الشيخ أبرز القيم العلمية في هذا الكتاب.

2– وينصح الباحثان الدارسين والباحثين بالعناية الكاملة بتراث الشيخ عبد الله بن فودي على وجه الخصوص ،لأن الحاجة مسيسة إلى من يشرح الكتب أو يحققها أو يبرز الأساليب البلاغية الواردة فيها.

3– العمل على إنشاء مركز متخصصة تابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي الذي يعتني بكتب الشيخ عثمان بن فودي، والشيخ عبد الله بن فودي ، والشيخ محمد بيلو بن الشيخ عثمان.

4 – وأخيرا نرشد الذين يأتون من بعدنا بالعناية بالصور البلاغية الواردة فيه التي لم نقف عليها ، أو لم نقم بتحليلها تحليلا بلاغيا والاجتهاد في البحث عنها وتنقيحها فلعلهم يظفرون بها.

هذا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا والحمد لله رب العالمين.

المصادر و المراجع

([1]) الشيخ عبد الله فهو عبد الله بن محمد "فودي" بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورط بن محمد جب بن محمد ثنب بن أيوب بن ماثران بن أيوب باب بن موسى "جكل" ،صاحب المصنفات الكثيرة،ومصنفاته أكثر من مئتي مصنف منها: –البحر المحيط في النّحو، ويقع الكتاب على أربعة آلآف بيتا، وضياء التأويل ،في معاني التنزيل، وكفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، وغيرها من الكتب، وقد انتقل الشيخ عبد الله بن فودي إلى ربه عز وجل في سنة1245هـ، الموافق 1829م وله من العمر 65 . ينظر إيداع النسوخ ،عبد الله بن فودي ، المخطوط ، ص 4– 7 ، وتزيين الورقات ، ابن فودي ، المخطوط ، ص 8 –9 .

(2) الشيخ عبد الله بن فودي ، مفتاح التفسير ، المخطوط ، ص(3)

([3])الشيخ عبد الله بن فودي ، مفتاح التفسير ، ص(10)

([4])عبد الله ابن فودي ، مفتاح التفسير ، ص (76)

(4) عبد الله ابن فودي ، مفتاح التفسير ، ص (83)

([5]) عبد الله ابن فودي ، مفتاح التفسير ، ص (90)

([6]) عبد الله ابن فودي ، مفتاح التفسير ، ص(126–127)

([7]) عبد الله ابن فودي ، مفتاح التفسير، ص (157)

([8]) عبد الله ابن فودي ، مفتاح التفسير ، ص (159)

([9]) عبد الله ابن فودي ، مفتاح التفسير، ص(235)

(10) أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، المحيط في اللغة ، دار النشر : عالم الكتب – بيروت / لبنان – 1414هـ –1994 م ، ط– 1 ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مادة (علم) .

(11) أحمد مصطفى المراغي ،علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع" ، موقع الوراق ، ص(35)

(12) ا لدكتورة محمد محمد أبوموسى، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة الوهبة ، ط 7 ، بلا تاريخ ، ص (111)

([13]) عبد الرحمن الميداني ، البلاغة العربية أسسها وفنونها، دار المعرفة ، بيروت ، 1391 هـ .ج1 ، ص(107)

([14]) سورة الرحمن ، الآية (72)

(15) عبد الرحمن الميداني،البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص(413)

(16) عبد الله ابن فودي ، مفتاح التفسير، ص(156 – 158)

(17) سورة آل عمران، الآية (144)

(18) سورة فاطر، الآية (28)

(19) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ، لباب الآداب ، ج1 ص(67) ، وزهر الآداب وثمر الألباب ، ج1، ص(276)

(20)ا لهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار الكتب العلمية ، ج1 ، ص(8)

(21) سورة الفاتحة، الآية (5)

(22) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط 4 ، 1998 م ، ج1، ص (49)

(23) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، طبعة الأولى1995م ، الناشر دار الكتاب العربي . بيروت،تحقيق د.محمد التنجّي، ص(174)

(24) علي بن نايف الشحود ، الخلاصة في علوم البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ، ط 3 ، ج1، ص(27)

(25) سورة فصّلت ، الآية (34)

([26]) سورة التوبة ، الآية (119)

(27) ا لهاشمّي، جواهر البلاغة ج1 ص(9) ، وعلم البلاغة للشيرازيّ، ج ،1ص(3)

(28) الشيخ عبد الله بن فودي ، مفتاح التفسير ، ص (158 – 159)

(29) عبد الرحمن الميداني ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1 ، ص(483)

(30) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص (110)

(31) عبد الرحمن الميداني ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1 ص (469)

(32) أسامة بن منقذ ، البديع في نقد الشعر، ، موقع الوراق ، ج1 ، ص(71)

(33) سورة البقرة ،الآية (164)

(34) سورة القدر، الآية (4)

(35) أحمد بن علي القلقشندي ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الفكر – دمشق ،الطبعة الأولى ، 1987 ،تحقيق : د.يوسف علي طويل ، ج 2 ص(123)

(36) كعب بن زهير، الديوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421 هـ ، ج 1 ص(87)

(37) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق فوزي عطري ، ط1 ، 1969 م ، ج 1 ص(11)